اجتهادات
اللـهُمَ لا شماتة

عرفتُ السياسى العراقى د. إياد علاوى فى منتصف التسعينيات عن طريق صديق مشترك. والتقيتُه مرات بعدها فى لندن. كان قد غادر العراق مختلفًا مع نظام صدام حسين، رغم انتمائه إلى حزب البعث منذ شبابه الباكر، وأسَّس حركة الوفاق الوطنى العراقى، فحلت عليه اللعنة، وتعرض لمحاولة اغتيال كادت تودى بحياته، وأُجريت له عدة جراحات لإنقاذه. وجدتُه سياسيًا نزيهًا عارض السلطة فى بلده بشرف طوال الوقت، حتى بعد نجاته إثر محاولة اغتياله. قرأتُ مقابلة طويلة معه فى إحدى الصحف قبل أيامٍ أفصح فيها عن بعض ما لم يبح به من قبل. قال إنه رفض أن يذهب للتشفى فى الرئيس الراحل صدام حسين فى محبسه بعد اعتقاله، بخلاف سياسيين عراقيين آخرين. امتنع لأن الشماتة

ليست من شيم الرجال. وقال إن صدام، رغم كل ما فعله بالبلاد وبه شخصيًا، كان رئيسًا للعراق. ولم يرغب فى رؤية رئيس عراقى أسيرًا لدى الأمريكيين. وعبر عن استيائه لطريقة معاملته وعدم إتاحة محاكمة عادلة له. وأُصَدقُه فى قوله إنه شعر بألم كبير يوم إعدام صدام. الكبارُ يقولون فى مثل هذه الظروف "اللهم لا شماتة". ويُؤلمُهم ظلم خصم، رغم أنه ذهب إلى أبعد مدى فى إيذائهم. لم يكن علاوى مرتاحًا إلى الغزو الأمريكى بخلاف أغلبية المُعارضين حينها. وعندما أدرك أن الإعداد للغزو بدأ, سعى إلى تقليل المخاطر، وأفزعته مطالبة معارضين آخرين بأن يكون هدفُ الغزو تفكيك كل المؤسسات بدعوى إعادة البناء على نظافة. سعى لإقناع مسئولين أمريكيين بالأخطار التى ستترتبُ على هذا النهج، وبأن الإصلاح لا يتطلبُ أكثر من إزاحة الصف الأول فقط فى المؤسسات الرئيسية، وحصر عملية إعادة البناء الكامل فى بعض الأجهزة الأمنية. لم ينجح فى مهمته، ولكنه حاول بعد ذلك وضع حد للتغلغلِ الإقليمى فى العراق، وتقصير فترة الاحتلال الأمريكى، فسعى إلى

إقناع العرب بتوسيع دورهم وتطويره فى العراق. لكن معظم الحكومات العربية لم تستجب لدعواته المتكررة، واكتفت برفض الاحتلال وترك العراق لمصيره. وعندما بدأت فى الالتفات إليه، كان الوقتُ قد تأخر أو كاد.